الحسين بن إبراهيم النّطْنَزيّ الأصبهانيّ (ت 497 أو 499هـ) وكِتابُهُ (كتاب الخلاص أو دستور اللغة العربية)

أ. أحمد هادي زيدان

ahmadassl76@yahoo.com

Al-Hussein bin Al-Natnazi Al-Asbahani (died in 497 or 499 hegira) and his Book (Al-Kalas or the Constitution of Arabic)

Prof. Ahmed Hadi Zaidan

Abstract

The manuscript of (Al-Kalas Book or the Constitution of Arabic) has not gained the due attention of the Arabic linguistic studies. His author has not been tackled by an independent study that passes through his personality with all its intellectual and linguistic aspects although the author and his manuscript have mentioned in various books . This study falls into two parts; the first involves the biography of the author whereas the second is about his status, the men who had been influenced by him, his literary works whether verse or prose, and his death.

تقديم

لَم تَنَلْ مَخطوطةُ (كِتابُ الخلاص أو دستور اللغة العربية) اهْتماماً وافياً ونصيباً مُناسِباً في الدراساتِ اللغويّةِ العربيةِ، ولَم يَحْظَ مُؤلِّفُها الحُسينُ بنُ إبراهيمَ النَّطْنَزيُّ الأصبهانيّ بِدراسةٍ مُسْتَقِلَّةٍ تَستوفي أبعادَ شَخصيتِهِ وتُحيطُ بِما انْطَوتْ عليهِ تِلكَ الشخصيّةُ مِنْ جوانبَ مَعرفيةٍ ولُغويّةٍ ذاتِ روافِدَ ثقافيّةٍ مُتنوّعةٍ، ذلكَ على الرَّغمِ مِنْ كثرةِ النُّسَخِ الخطيّةِ التي ذكَرَتْها فَهارِسُ المخطوطاتِ للكتابِ، وكَثْرةِ كُتُبِ التَّراجُمِ التي أوْرَدَتِ المُؤلِّفَ ومَرَّتْ على حياتِهِ؛ لذا – والحالُ كما عُلِمَ – فَقَدَ انْعَقَدَ هذا البَحْثُ لِتناولِ هذا الكِتابِ بَعْدَ أنْ تَمَّتْ دِراسَتُهُ وتَحْقِيقُهُ، وكانَ مَدارُ البَحْثِ على محورَينِ، الأوّلُ مِنْهُما تَضَمَّنَ ترجمةً للنَّطْنزيِّ الأصبهانيِّ صاحِبِ الكِتابِ، إذ سُلِّطَ الضوءُ مِنْ خِلالِ تِلكَ الترجمةِ على جوانبَ مُخْتَلِفةٍ مِنْ حياةِ الرَّجُلِ ابْتداءً مِنْ اسْمِهِ والنسبةِ التي يَنْتمي إليه، ومُروراً بِذِكرِهِ والمكانةِ التي تَبَوأها عِندَ مَنْ عَرَّجَ على حياتِهِ أو تَرْجَمَ لَهُ، وبِسماعِهِ ومَنْ رَوى عَنْهُ مِنَ الرجالِ، ثُمَّ بالأدَبِ الذي أُثِرَ عَنْهُ، سواءٌ أ كانَ ذلكَ الأدَبُ شِعْراً أم نَثْراً، وانْتِهاءً بوفاتِهِ وما قيلَ فيها مِنْ أقوالٍ.

أمّا المِحْورُ الآخر مِنَ البَحْثِ فَقَد خُصِّصَ للكِتابِ (كِتابُ الخلاص أو دستور اللغة العربيّة)، إذْ تَمَّ النظرُ إليهِ مِنْ زوايا تَبايَنَتْ فِيما بَينَها، فَبُحِثَ مِنْ حَيثُ عُنْوانُهُ وما عَنَّ مِنْ مَعْلوماتٍ تَتَعَلَّقُ بالتَسْمِياتِ التي أطْلِقَتْ عليهِ اعْتماداً على مَخْطوطاتِ الكِتابِ نَفْسِهِ، أو على الفهارسِ التي أوْرَدَتْهُ، أو على كُتُبِ التراجُمِ التي ذَكَرَتْ مُؤلِّفَهُ أو مَرَّتْ على حياتِهِ، وتناولَ البحْثُ بَعْدَ ذلكَ نِسْبَةَ الكِتابِ إلى مُؤلِّفِهِ، وقد اقْتَضى هذا الأمرُ الرجُوعَ إلى المظانِ التي تَوَلَّتْ توثيقَ تلكَ النسبةِ وما قيلَ فيها، واخْتُتِمَ البَحْثُ بتسليطِ الضوءِ على مَنْ نَقَلَ مِنَ الكِتابِ واقْتَبَسَ مَواضِعَ مِنْهُ لِيُضَمِّنَها كِتابَهُ، فَتَمَّ تَحديدُ الناقلينَ مِنْ (دستور اللغةِ)، وتَعيّنُ الموارِدِ التي أُخِذَتْ مِنْهُ، وقد عُرِضَ ذلكَ على وَفقِ التسلسلِ الزمني لِوفياتِ الناقلينِ.

النَّطْنَزيُّ الأصْبَهانيّ... اسمُهُ ونِسْبَتُهُ

هو أبو عَبْدِ اللهِ الحُسينُ (أو حُسينُ) بنُ إبْرَاهِيمَ بنِ أحْمَدَ الأصْبَهانيُّ النَّطْنَزيُّ[1] وقيلَ العِراقيّ[1]، جاءَتْ نسبتُهُ مِنَ المدينةِ التي يَبْدو أنَّهُ وُلِدَ أو تَرَعْرَعَ فيها، إذْ لم يُذكَرْ – فيما ذُكِرَ عَنهُ – المَحَلُّ الذي كانَ مَسقَطَ رَاسِهِ أو المكانُ الذي نَشَأَ بينَ أكنافِهِ.

(1) ترجمته في: الأنساب: 3/ 14، 5/ 505، معجم الأدباء: 3/ 1028، معجم البلدان: 5/ 292، اللباب في تهذيب الأنساب: 1/ 533، 3/ 315، إنباه الرواة: 1/ 355، تاريخ الإسلام: 10/ 789، 813، الوافي بالوفيات: 12/ 197، بغية الوعاة: 1/ 528، كشف الظنون: 1/ 754، تاريخ الأدب العربيّ: 5/ 208، الذريعة: 7/ 208، 8/ 165، 9/ 131، 20/ 311، هدية العارفين: 1/ 311، الأعلام: 2/ 229، معجم المؤلفين: 3/ 193 وفيه (الحسن بن إبراهيم)، 305، مختارات مكتبات تركيا: 872، فهرس المخطوطات المصورة (اللغة): ج 1/ ق 2/ 79.

فـ(النَّطْنَزِيُّ) نِسْبةً إلى مدينةِ (نَطَنْز) أو (نَطْنَزة)، التي هي بُليدةٌ مِنْ أعمالِ أصْبهانَ، وتَبْعُدُ عَنها ما يَقربُ مِنَ العِشْرينَ فرسخاً[2].

ذِكْـرُهُ ومكانتُـهُ

لم يُذكَرْ في ترجَمَةِ النَّطْنَزِيِّ الشيءُ الكثيرُ، ولم يُنوَّه إلى تفاصيلَ من حياتِهِ تَجْعَلُ مِنَ الباحثِ فيها يَقِفُ على حقيقةِ الثقافةِ التي أحاطَتْ بذلكَ الرُّجلَ، وجَعَلَتْ مِنْهُ مَحَطَّ إجلالٍ ومدارَ إعظامٍ لكلِّ مَنْ وَقَفَ عِنْدَهُ أو اسْتَوقَفَهُ النَّزرُ اليَسيرُ الذي ذُكِرَ مِنْ حياتِهِ، بلْ إنَّ بعضاً مِمّنْ تَرْجَمَ لَهُ اكْتَفى بِمَدْحِهِ والثّناءِ عليهِ، عادّاً ذلكَ مِمّا يُوفّي المُتَرْجَمَ لَهُ حَقَّهُ ويُعْطيهِ مِنْ ملامِحِ حياتِهِ ما يُشْبِعُ النَّهَمَ العلميَّ لدى المُتَرجِمِ إليهِمْ، وما يُجيبُ على فُضُولِهِم المعرفيّ.

فكُلّ ما ذُكِرَ عَنِ النَّطْنَزيِّ فيما يَخُصُّ المَسْكَنَ والمكانَ أنّهُ " سَكَنَ سِكَّةَ آذرويه بجويارة " [3]، ولم تَتَسَنَّ غيرُ هذهِ المعلومةِ في هذا الصّدَدِ، بل لم يَتَوافَر – لديّ – غيرُ موردٍ واحِدٍ وكِتابٍ واحدٍ سَلّطَ الضوءَ على زاويةٍ لم تُحدَّدْ أرْكانُها ولا أبْعادُها.

ورُبّما كانَ لنُدْرةِ المعلومات المُسْتَحْصَلةِ، وشِحّةِ البيّاتِ الدالّةِ الأثَرُ في التركيزِ على جانبٍ دونَ جوانبَ أُخرَ مِنْ حياةِ النَّطْنَزيّ، أو على وجْهِ الخُصوصِ الالتفات إلى المَنْحى الإطرائيّ، وغضّ النظَرِ عَنِ مناحي التنشئةِ التي هي – بالأساسِ – مسوّغُ الإطراء ومدعاةُ الثناءِ.

فـ(النَّطْنَزِيُّ) ذو البيانين[4]؛ وذلكَ " لفصاحتِهِ وفَضْلِهِ وبيانِهِ للنّظْمِ والنَّثْرِ بالعربيةِ والعَجَمِيّةِ"[5]، وهُوَ – للسَّبَبِ نَفْسِهِ – ذو اللسانين[6]، وهُوَ – أيضاً – بديعُ الزمانِ[7]، "الفاضِلُ الكامِلُ"[8]، الذي "أفْنى عُمْرَهُ في العِلْمِ والتعليمِ"[9]، ومِنْ كبارِ أئمةِ العربيّةِ[10]، النّحْويُّ اللغويّ[11]، "العالِمُ بِفَنِّ العربيةِ، المُتَصدِّرُ لإفادتِها مِنْ شبابِهِ"[12]، صاحِبُ التصانيفِ الأدبيّةِ واللغوية[13]، والأديبُ الماهرُ والشاعِرُ[14]، الذي "كانَ حَسَنَ الشِّعْرِ دَقيقَ النَّظَرِ فيهِ"[15].

سماعُهُ ومَنْ رَوى عَنْهُ

إنَّ مِنْ جُمْلةِ ما قَد قيلَ في حَقّ النَّطْنَزيّ الأصبهانيّ سَماعَهُ الحَديثَ وروايتَهُ عَنْهُ، فكانَ مِمّنْ سَمِعَهُم النَّطْنَزيُّ ونَقَلَ عَنْهُم أصْحابُ الحافظِ أَبي الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ حَيَّانَ الأَصْبَهَانِيِّ (369هـ)[16]، ومِنْ أولئكَ الأصحابِ الشَّيْخُ العَالِمُ الأَدِيْبُ الرَّئِيْسُ أَبُو بكر مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ أَحْمَدَ بنِ إِبْرَاهِيْمَ بنِ إِسْحَاقَ بنِ زِيَادٍ الأَصْبَهَانِيُّ (ت 440هـ)[17]،

---

(1) هذه النسبةُ مِما ذكَرَتْ في كتابِ (الذريعة)، ولم أجد لها مُبَرِّراً.
(2) ينظر: الأنساب: 5/ 505، اللباب في تهذيب الأنساب: 3/ 315، معجم البلدان: 5/ 292، مراصد الاطلاع: 3/ 1377، لبّ اللباب في تحرير الأنساب: 264، الذريعة: 7/ 208.
(3) الأنساب: 5/ 505، ولم أقف الموضع المذكور.
(4) ينظر: نفسه: 3/ 14، اللباب في تهذيب الأنساب: 1/ 533، تاريخ الأدب العربيّ: 5/ 208، الذريعة: 8/ 166، معجم المؤلفين: 3/ 192.
(5) الأنساب: 3/ 14، وينظر: اللباب في تهذيب الأنساب: 1/ 533، تاج العروس: 15/ 356.
(6) ينظر: معجم الأدباء: 3/ 1028، إنباه الرواة: 1/ 355، تاريخ الأدب العربيّ: 5/ 208، الذريعة: 8/ 166، معجم المؤلفين: 3/ 192، تاريخ الإسلام: 10/ 813، الوافي بالوفيات: 12/ 197، بُغية الوعاة: 1/ 528، تاج العروس: 15/ 356، الأعلام: 2/ 229، معجم المؤلفين: 3/ 193، 305 – 306، فهرس المخطوطات المصورة (اللغة): ج 1/ ق 2/ 79.
(7) يُنظر: البلغة: 175، كشف الظنون: 1/ 754، الذريعة: 8/ 166، 20/ 312، هدية العارفين: 1/ 311، الأعلام: 2/ 229، معجم المؤلفين: 3/ 193.
(8) إنباه الرواة: 1/ 355.
(9) اللباب في تهذيب الأنساب: 1/ 533، بغية الوعاة: 1/ 528 ويُنظر: إنباه الرواة: 1/ 355.
(10) يُنظر: الوافي بالوفيات: 12/ 197، بُغية الوعاة: 1/ 528، الأعلام: 2/ 229.
(11) يُنظر: معجم الأدباء: 3/ 1028، الوافي بالوفيات: 12/ 197، بغية الوعاة: 1/ 528، معجم المؤلفين: 3/ 306.
(12) إنباه الرواة: 1/ 355.
(13) يُنظر: الأنساب: 3/ 14، 5/ 505، اللباب في تهذيب الأنساب: 3/ 315، تاريخ الإسلام: 10/ 789، بغية الوعاة: 1/ 528، الأعلام: 2/ 229.
(14) ينظر: الأنساب: 3/ 14، المنتخب من معجم شيوخ السمعانيّ: 253، خريدة القصر (أصفهان): 283، التدوين في أخبار قزوين: 3/ 261، معجم الأدباء: 5/ 292، اللباب في تهذيب الأنساب: 1/ 533، الذريعة: 8/ 166، معجم المؤلفين: 3/ 306.
(15) الأنساب: 3/ 14، وينظر: اللباب في تهذيب الأنساب: 1/ 533.
(16) ترجمته في: تاريخ الإسلام: 8/ 305، سير أعلام النبلاء: 12/ 305، الوافي بالوفيات: 17/ 262، نزهة الألباب: 2/ 264، طبقات الحفاظ: 382.
(17) ترجمته في: التقييد لمعرفة رواة السنن: 1/ 72، تاريخ الإسلام: 9/ 593، سير أعلام النبلاء: 17/ 595، توضيح المشتبه: 4/ 265.

والواعِظُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ عَليِّ بنِ أبي ذَر الصّالحانيُّ الأصبهانيّ[1]، ولم يُعْرفْ غيرُ هذينِ العَلَمينِ في سَماعِ النَّطْنَزيِّ[2]، وقيلَ غيرهُما أيضاً [3] ولم يُذكروا.

و أمّا مَنْ رَوى عَنِ النَّطْنَزيِّ فَهُو حَفيدُهُ أو سِبْطُهُ أَبُو الْفَتْح مُحَمَّدُ بنُ عَليّ بنِ إِبْرَاهِيمَ بنِ أبي الْفَتْح النَّطْنَزيّ الكَاتِب (ت حدود 550هـ) أو (ت561هـ)[4] الذي كانَ قَد رَوى عَن جَدِّهِ بِمَرو[5]، والشيخُ الأديبُ أبو العبّاسِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمّدُ المُؤَذِّنُ (حدود 470 هـ –...) [6] الذي رَوى عَنِ النَّطْنَزيِّ بأصْبَهانَ[7]، وقِيلَ غيرُهُما أيضاً[8]، ويُظَنُّ أنّ السَّلَفيَّ[9] قد رَوى عَنْهُ[10]، كذلكَ يُذْكَرُ أنَّ أبا سَعْدٍ عَبْدَ الكريمِ بنَ مُحَمَّدٍ بنِ مَنْصورٍ التَّميميّ السَّمْعانيّ المِرْوزيّ (ت 562هـ)[11] قَرَأَ عليهِ[12]، ولم يُشِرِ السّمعانيّ إلى ذلك في ترجمتِهِ للنّطْنَزيِّ.

وبناءً على ما مَرَّ، فإنّهُ على الرَّغمِ مِنْ قِلّةِ ذِكْرِ أسماءِ الأعلامِ الذينَ رافَقوا اسمَ النَّطْنزيِّ – شُيوخاً وتلاميذَ – أو قُلْ – مَرْوياً عَنْهُم وراوينَ عَنْهُ – فإنّ ذلك كفيلٌ أنْ يُبَوّأَهُ مُبَوّأَ الراوي الذي قد يُسْتأنَسُ بِهِ في نَقْلِ الحديثِ، ويُطمَأنُّ بالأخذِ مِنْهُ والروايةِ عَنْهُ.

شِعْرُهُ

إنّ عدداً مِمّنْ تَرْجَمَ للحُسينِ بنِ إبراهيمَ النَّطْنَزيِّ عرَّجَ على جانبٍ مِنْ جوانبَ شخصيتِهِ يَكْشِفُ النِّقابَ عَمّا انْطَوتْ عليهِ تلكَ الشَّخْصيّةُ من وِجْهةٍ أدبيةٍ قلّما انْمازتْ بِها شَخْصيّةٌ تداولَتِ الحديثَ النبويَّ، وجَعَلَتِ مِنَ الاهتمامِ باللغةِ مَشْغلاً ذا بالٍ، فالنَّطْنَزيُّ – كما قالَ المُترجِمونَ – ذو البيانينِ، أي البيانِ والإفصاحِ والتّعبيرِ باللغتينِ عربيّةً وعَجَميّةً، وهذا ما أفْصَحَ كتابُهُ الذي هُوَ مدارُ هذا البَحْثِ والمحورُ الذي انْعَقَدتْ هذه الدراسةُ لأجْلِهِ، وسيأتي ذِكْرُهُ، والنَّطْنَزي – كما مَرَّ – الأديبُ الماهِرُ والشّاعرُ، وقد أيّدَ ذلكَ ما تناثَرَ لَهُ – هُنا وهُناكَ – مِنْ بُويتاتٍ ومقاطِعَ شعريةٍ تَتُمُّ موهبةٍ أُخرى تَضَلّعُ بِها هذا العالمُ، تلكَ هي موهبةُ النّظْمِ، فَقَد كانَ النَّطْنَزيُّ "يَنْظِمُ بالفارسيةِ والعَرَبيّةِ، أُورِدَ بَعْضُ شِعْرِهِ في البُغْية، وتُوجَدُ كثيرٌ مِنْ شِعْرِهِ الفارسيِّ والعَرَبيِّ في كتابِهِ (دُسْتور اللغة)"[13]، يُضافُ إلى ذلكَ أنّ الترجمةَ التي عَقَدَها صاحِبُ (الذريعة) للنَّطْنزيِّ جَعَلَها تَحْتَ مُسَمّى (ديوان بديع الزمان نطنزي أو شعرُهُ)[14]، وهذا ما لم تَتَسَنَّ معرفَتُهُ والتأكّدُ مِنْهُ، فشِعْرُهُ الفارسيّ لم أقف عليهِ، وأمّا شَعْرُهُ بالعربيةِ فَمنهُ ما أودِعَ في كتابِهِ، وقد أثْبِتَ في مَحَلِّهِ، وأمّا ما سِواهُ فَمَجْموعةٌ مِنَ الأبياتِ كانَ قد قالَها ونَقَلَها مَنْ تَرْجَمَ لَهُ أو مَرَّ على ذِكْرِهِ، فكانَ مِنْ بينِ ما قالَ أنَّهُ كَتَبَ إلى الفقيه أبي القاسِمِ عَبْدِ المَلِكِ بنِ أحْمَدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ المُعَافى القزوينيُّ (ت 528هـ)[15] (الكامل)[16]:

قَزْوينُ طَابَتْ كَالمَدِينَةِ إذْ أتَى مِنْهَا الإمَامُ الأفْضَلُ ابْنُ مُعَافى

فَأَفَادَهُ اللَّهُ الفَضَائِلَ حِكْمَةً وَعَدالَةً وشَجَاعَةً وعَفَافا

(1) ترجمته في: الأنساب: 3/ 510، إكمال الإكمال: 2/ 644، اللباب في تهذيب الأنساب: 2/ 230، تاريخ الإسلام: 9/ 592.
(2) يُنظر: اللباب في تهذيب الأنساب: 3/ 316، تاريخ الإسلام: 10/ 789، بُغية الوعاة: 1/ 528.
(3) يُنظر: تهذيب الأنساب: 3/ 316.
(4) ترجمته في: خريدة القصر (أصفهان): 283، تاريخ الإسلام: 12/ 267، الوافي بالوفيات: 4/ 117، نزهة الألباب: 2/ 264، طبقات الحفاظ: 382، نفحات الأزهار: 19/ 142.
(5) ينظر: الأنساب: 3/ 14، اللباب في تهذيب الأنساب: 1/ 533، 1/ 316، بغية الوعاة: 1/ 582، تاج العروس: 15/ 356.
(6) ترجمته في: المنتخب من معجم شيوخ السمعاني: 253.
(7) ينظر: الأنساب: 3/ 14.
(8) ينظر: نفسه.
(9) لم أهتدِ إلى المقصود مِنْهُ.
(10) يُنظر: تاريخ الإسلام: 10/ 789.
(11) ترجمته في: وفيات الأعيان: 3/ 209، تاريخ الإسلام: 12/ 274، النجوم الزاهرة: 5/ 378، الأعلام: 4/ 55.
(12) ينظر: معجم الأدباء: 3/ 1028.
(13) الذريعة: 9/ 131.
(14) الذريعة: 9/ 131.
(15) ترجمته في: شرف المصطفى: 1/ 70، تاريخ دمشق: 37/ 90، التدوين في أخبار قزوين: 3/ 260، تاريخ الإسلام 11/ 477.
(16) يُنظر: التدوين في أخبار قزوين: 3/ 261 - 262، وفي (شرف المصطفى) " وكان أحَدُ الفُضلاءِ ومِنْ أهْلِ العِلْمِ النُّجباء، أثنى عليهِ الناسُ كثيراً، فكانَ مِمّا كَتَبَ فيهِ وأرْسَلَ إليهِ... الأبيات ": 1/ 70.

ج

وَهِيَ التِي يَغْلُو بِهَا كُلُّ امْرِئٍ يَخْطَى بِها الآباءَ والأَسْلافا

يَا رَبِّ بَارِكْ فِي بَقَايا عُمْرِهِ وَاجْعَلْهُ مِنْ غِيَرِ الزَّمانِ مُعَافا

ج

و قالَ (الكامل)[1]:

قَالُوا يَزُورُكَ أحْمَدٌ وتَزُورُهُ قُلْتُ: الفَضَائِلُ لا تُفَارِقُ مَنْزِلَه

إنْ زَارَنِي فَبِفَضْلِهِ أوْ زُرْتُهُ فَلِفَضْلِهِ، فَالفَضْلُ فِي الحَالَينِ لَه

ج

و قالَ متحسّراً على عَهْدِ الشّباب (الوافر)[2]:

أَيَا لَهْفِي عَلَى زَمَنِ التَّصَابي إذَ الرَّشَأُ الرَّشِيقُ لَنَا عَشِيقُ

ج

وَ ُصْنُ شَبَابِنا غَضٌّ وَرِيقُ وَنَقْلُ شَرابِنا عَضٌّ ورِيقُ

و قالَ مُبيّناً مكانةَ العُلماءِ (الكامل)[3]:

الْعِزُّ مَخْصُوصٌ بِهِ الْعُلَمَاءُ مَا للأنامِ سِواهُمُ مَا شَاءُوا

إنَّ الأكَابِرَ يَحْكُمُونَ عَلَى الوَرَى وعَلَى الأكَابِرَ يَحْكُمُ الْعُلَمَاءُ

و قالَ في مِقَصٍّ (الكامل) [4]:

مَا عَامِلٌ يَحْكِي إذا اسْتَعْمَلْتَهُ وَأعَانَهُ خَمْسٌ بِهِنَّ يَدُورُ

صَقْراً يَصِيدُ أَهِلَّةً يَلْمَعْنَ مِنْ أَعْلَى بُدُورٍ تَحْتَهُنَّ بُحُورُ

و قالَ في الفقيه أبي المُطهّرِ المعدانيّ [5] (الوافر)[6]:

لِسَيِّدِنَا الإمَامِ أبِي المُطَهَّرْ فَضَائِلُ أرْبعٌ كالزَّهْرِ تَزْهَرْ

ضِياءٌ فَائِضٌ رَأْيٌ عِيارٌ عَطَاءٌ سَاطِعٌ رَهْطٌ مُطَهَّرْ

(1) البيتان مِمّا تَفَرَّدَ صاحب (معجم الأدباء) بنسبتهما لهُ، وهُما للإمام أبي عبدِ اللهِ مُحَمَّد بن إدريسَ بن العَبّاس الشافعيِّ (ت 204هـ)، والبيتان في ديوانِهِ، ينظر: معجم الأدباء: 3/ 1028، ديوان الشافعيّ: 87، غربال الزمان: 224، المجالس الوعظية: 1/ 155 (ما تَعَدَّتْ مَنْزلَه)، تزيين الاسواق: 430، شذرات الذهب: 3/ 188.

(2) ينظر: معجم الأدباء: 3/ 1028، الوافي بالوفيات: 12/ 198.

(3) ينظر: الوافي بالوفيات: 12/ 198، بغية الوعاة: 1/ 528.

(4) ينظر: الوافي بالوفيات: 12/ 197، نُصرة الثائر: 192، وفيه " الحَسَن بن إبراهيم النّطريّ ".

(5) لم أقف على ترجمتِهِ.

(6) ينظر: الوافي بالوفيات: 12/ 197.

وقالَ يَصِفُ أسْوأَ ما يَلْقَى العالِمُ (الرمل) [1]:

أَسْوَأُ الْأُمَّةِ حَالاً رَجُلٌ عَالِمٌ يَقْضِي عَلَيْهِ جَاهِلُ

وقالَ مُتَندِّراً بالبخيلِ (البسيط) [2]:

مَالُ الْبَخِيلِ أسَيرٌ تَحْتَ خَاتِمِهِ وَ لَيْسَ يُطْلَقُ إِلَّا عِنْدَ مَأْتَمِهِ

و قالَ مُتَغَزِّلاً، والبيتُ مَطْلَعٌ مِنْ قصيدةٍ (الكامل) [3]:

طَرْفِي لِفُرْقَةِ ذَاتِ طَرْفٍ أكْحَلِ يَجْرِي دَماً فَكَأَنَّ طَرْفِي أكْحَلِي

و ذَكَرَ طبيعةَ العلاقةِ التي تربِطُهُ بالوزيرِ وتربِطُ الوزيرُ بِهِ فقالَ (الرمل) [4]:

أَلَمْ تَرَ أَنِّي أَزُورُ الوَزِيرَ أَمْدَحُهُ ثُمَّ اسْتَغْفِرُ

وَأُثْنِي عَلَيْهِ ويُثْنِي عَلَيَّ وَكُلٌّ بِصَاحِبِهِ يَسْخَرُ

وداهَمَهُ المشيبُ، فَغَيَّرَ مِنْهُ ما غَيَّرَ، فَوَقَفَ عندَ ذلكَ قائلاً (البسيط) [5]:

وافَى المَشِيبُ فَطَرْفِي دَامِعٌ دَامِ وَبَانَ صَبْرِي، فَقَلْبِي هَائِمٌ حَامِ

ج

وَابْيَضَّ مِنْ دَمْعِيَ المُحْمَرِّ نَاصِيَتِي وَاسْوَدَّ مِنْ شَعْرِيَ المُبْيَضِّ أيَّامِي

وقالَ (الكامل) [6]:

بِأَبِي فَمٌ شَهِدَ الضَّمِيرُ لَهُ قَبْلَ المَذَاقَةِ أَنَّهُ عَذْبُ

كَشَهَادَةٍ للهِ خَالِصَةٍ قَبْلَ العِيانِ بِأَنَّهُ الرَّبُّ

ومِنْ شِعْرِهِ التعليميِّ قَولُهُ (مخلّع البسيط) [7]:

جَوَابُ مَا اسْتَفْهَمُوا بِفَاءٍ يَكُونُ نَصْباً بِلَا امْتِرَاءِ

كَالأَمْرِ وَالنَّهْيِ والتَّمَنِّي وَالْعَرْضِ والجَحْدِ والدُّعَاءِ

---

(1) ينظر: نفسه: 12/ 197، بغية الوعاة: 1/ 528، الذريعة: 8/ 166.
(2) ينظر: الوافي بالوفيات: 12/ 197.
(3) ينظر: الوافي بالوفيات: 12/ 198.
(4) ينظر: الوافي بالوفيات: 12/ 198.
(5) ينظر: نفسه.
(6) نُسبَ البيتان لهُ في (الوافي بالوفيات)، وهُما مِمّا يُنْسبان لأبي تَمام (ت 231 هـ)، وليسا في ديوانِهِ، والبيتان للشّاعرِ أبي الحسين عليِّ بن مُحَمَّدِ بنِ جَعْفَرِ العَلَويِّ الكُوفيِّ الحَمّانيِّ (ت 301 هـ)، وهما في ديوانِهِ، والبيتان للشاعرِ عَبْدِ السَّلامِ بن زَغْبانَ الكلبيِّ المَعروفِ بديكِ الجنِّ (ت 235 هـ)، وهُما في ديوانِهِ أيضاً، ونُسِبا كذلك للشاعرِ أبي مُحَمَّدٍ عَبْدِ المُحْسِنِ بن مُحَمَّدِ بن أحْمَدَ الصُّوريِّ المُلقّب بابن غلبون (ت 419 هـ) وغير موجودين في ديوانِهِ، ينظر: الوافي بالوفيات: 12/ 198 , حماسة الخالدين: 69، ديوان الحمانيّ (المورد): 202، أنوار الربيع: 1/ 92، 146، الغدير: 3/ 67، مستدركات أعيان الشيعة: 2/ 204، ديوان ديك الجنّ: 149 ديوان الصبابة: 66، نشوة السكران: 37.
(7) ينظر: الوافي بالوفيات: 12/ 198.

فهذا ما عَنَّ وما ذُكِرَ مِنْ شِعْرِ الحُسينِ النطنزيِّ، ويُلاحظُ – كما مَرَّ – أنَّ بَعْضاً مِنَ الأبياتِ قَد نُسِبَتْ إليهِ خَطأً، وأمَّا بَعضُها الآخرُ فإنّهُ لا يَرقى – كَمّا ونَوعاً – لأنْ يكونَ مَسْلكاً شعرياً يَجْعلُ مِنْ صاحِبِهِ ذا ملامحَ أسلوبيةٍ خاصّةٍ بِهِ، أو يَجْعلُ مِنْهُ شاعراً لَهُ الفرادةُ في رُؤاهُ والتفرّدُ في طَرْحِهِ، فما استُحْصَلَ لَهُ مِنْ أبياتٍ لا يعدو كونَهُ نَظْماً في مَوضوعاتٍ محدودةٍ انحَصَرَتْ بينَ الحكمةِ، والبكاءِ على الشّبابِ، والوصفِ، والمَدْحِ، والسُّخْريةِ، والتعليمِ، والغَزَلِ الذي يُظَنُّ أنَّهُ مَدخلٌ لموضوعٍ آخرَ كما هُو مَعْهودٌ، فَكُلُّ تلكَ الموضوعاتِ تَنُمُّ عَنْ شخصيّةِ صاحبِها الذي هُوَ إلى دُنيا العِلْمِ أقْرَبُ مِنْهُ إلى دُنيا الشِّعْرِ، ولَعلَّ في ذلكَ مُسَوِّغاً لِما أُثِرَ لَهُ مِنْ الأبياتِ مِنْ حَيثُ الكَمُّ والنَّوعُ.

نَـثْـرُهُ

إذا كانَتْ مجموعةُ الأبياتِ التي ذُكِرَتْ للنَّطْنَزيِّ هِيَ مِنَ النُّدرةِ بمكانٍ، فإنَّ ما ذُكِرَ لَهُ مِنَ النَّثْرِ أكْثَرُ نُدْرةً، بلْ لم يَكَدْ يُذْكَرْ لولا ما أوردَهُ لَهُ صاحِبُ (الوافي بالوفيات) مِنْ نَصّينِ قصيرينِ جِدّاً، هما بالأصلِ رسالتانِ كَتَبَهُما النَّطْنَزيُّ، أو رُبَّما رِسالةٌ واحدةٌ بَعَثَها إلَى أبي المُطَهَّرِ المعدائيّ الفقيهِ – السابقِ ذِكْرُهُ – وقد عادَ مِنَ الحَجِّ، فقالَ فيها: " يا بَابَ الإمَامِ، غَمامَ الآلاءِ، آمِنّا غانماً، أَضَاءَتْ إضاءةَ الصَّلاءِ وُجُوهنَا، إنَّهُ بَرٌّ مُرَبٍّ، تاريخُ خَيْراتٍ، مِلْءُ عِلْمٍ، مِلْءُ حِلْمٍ لَا زَالَ إمامًا آدِباً عابداً"[1]، والرسالةُ – كما وَصَفَها مَنْ نَقَلَها – " لا تَسْتَحيلُ كُلُّ كَلِمَةٍ أَو كَلِمَتَيْنِ عِنْد الْقِرَاءَةِ"[2]، وأمَّا الرسالةُ الأخرى فَهي أيضاً للفَقيهِ أبي المُطَهّرِ المعدائي، وقالَ فيها "أَحْصَفُ فُصحاءِ الْوَقْتِ قَولاً، بارعُ الْإِعْرَابِ، نامي الإيمانِ، حامِدٌ، ماحٍ لزلِ [كذا][3] وللخَلَلِ وللعِلَلِ، وَهُوَ أجَلُّ مَلْجأٍ لِكُلِّ آنٍ وناءٍ، أقوى وقاءٍ، لَا زَالَ آمراً صَارِمًا"[4]، فالرسالتانِ وإنْ اختلفتا موضعاً فإنّهما ائتلَفَتا موضوعاً ومَضْموناً ومُرسلاً إليهِ، وهما في كلتا الحالتينِ يكشفانِ عَنْ عِظَمِ المُخاطَبِ وعُلوِّ شَأنِهِ في نَفْسِ المُخاطِبِ.

وفـاتُـهُ

لم تُحَدَّدِ السّنَةُ التي تُوفّيَ فيها أبو عبدِ الله النَّطْنَزيُّ الأصبهانيُّ، وإذا كانتِ الأقوالُ في وفاتِهِ شِبْهَ مُتّفقةٍ على أنّها كانتْ في نهاياتِ القَرْنِ الخامِسِ الهِجْريّ، فإنّها اخْتَلَفتْ في تحديدِ العامِ الذي كانت فِيها الوفاةُ، فَقَدِ اتَّجَهَتِ الأقوالُ في ذلكَ في مسارِبَ عِدةٍ، فَبَعْضُ تلكَ الأقوالِ يَرى أنّ وفاتَهُ كانَت " سَنَةَ نَيّفٍ وتِسْعينَ وأربعمائةٍ بأصْبهانَ " [5]، وبَعضُها يَذْهَبُ إلى أنَّ وفاتَهُ كانت في المُحَرّمِ من سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعينَ وارْبَعْمائة[6]، في حِينِ أنَّ بعضَ الأقوالِ ذَهَبَ إلى أنَّ وفاةَ النَّطْنَزيِّ كانت سَنَةَ تِسْعٍ وتِسْعينَ وأَرْبَعمِائةٍ[7]، وتأرْجَحَ بَعضٌ مِنَ الأقوالِ بينَ العامينِ سَبْعٍ وَتِسْعينَ وتِسْعٍ وتِسْعينَ مِنَ المائةِ الرابعةِ فَذَكَرَ التاريخينِ مَعاً[8]، وزادَ بَعْضُهُم على السّنتينِ شَهْرِي الوفاة فقالَ: "تُوفّيَ في جُمادى الآخرةِ سَنَةَ 499هـ/ فبراير 1106م، أو (كما يَروي ابنُ جماعة عِندَ السّيوطيِّ والقفطيِّ) في المُحَرَّم سَنَةَ 497هـ/ أكتوبر سَنَةَ 1103م"[9]، واكْتَفى قَولُ بَعْضِهم بِذِكْرِ الشَّهْرِ، وهُوَ المُحَرَّمُ، مِنْ دونِ السّنةِ [10].

و يبدو – استناداً على ما تَقَدَّمَ – أنَّ مسألةَ تحديدَ السنةِ التي تُوفِّيَ فيها النَّطْنزيُّ ليستْ باليَسيرةُ، فَهيَ إذا غامَتْ والتَبَسَتْ على المُتَقدِّمينَ مِمّنْ تَرجَموا لَهُ ووَقَفوا عِنْدَ حياتِهِ، فكيفَ بِها عندَ المتأخرينَ مِمَّنْ تناولَ هذا الأمرَ، وهُمْ – بلا شَكَّ – عَوَّلوا واعْتَمَدوا على مَنْ سَبَقَهُم، فَهيَ لم تَضْبط عِنْدَ الأقربِ عَهْداً والأكثرِ تماساً مِنَ النَّطْنَزيِّ، فلا غُروَ – إذن – أنْ

(1) الوافي بالوفيات: 12/ 197.
(2) نفسه.
(3) الصواب " للزّلل ".
(4) الوافي بالوفيات: 12/ 197.
(5) الأنساب: 5/ 505، اللباب في تهذيب الأنساب:1/ 533.
(6) يُنظر: معجم الأدباء: 3/ 1028، معجم البلدان: 5/ 292، اللباب في تهذيب الأنساب: 3/ 316، إنباه الرواة: 1/ 355، الذريعة: 8/ 165، 20/ 311.
(7) يُنظر: الوافي بالوفيات: 12/ 197، البلغة: 175، كشف الظنون: 1/ 754، الاعلام: 2/ 229، هدية العارفين: 1/ 311، معجم المؤلفين: 3/ 193، مختارات مكتبات تركيا: 872، فهرس المخطوطات المصورة (اللغة): ج 1/ ق 2/ 79، التراث العربيّ المخطوط: 5/ 423.
(8) يُنظر: بغية الوعاة: 1/ 528، تاريخ الأدب العربيّ: 5/ 208.
(9) تاريخ الأدب العربيّ: 5/ 208.
(10) يُنظر: تاريخ الإسلام: 10/ 789.

تكونَ مَدارَ اخْتلافٍ وعَدمَ تَحديدٍ إذا بَعُدَ العَهْدُ وصَرَمَ حَبْلَ الوصلِ، وهذا – والحالُ كما عُلِمَ – ما يُحتِّمُ – ولو في هذه الدراسة – أنْ يكونَ الأخذُ بالقولِ الذي يُرجِّحُ السنتينِ سَبْعاً وَتِسْعينَ وتِسْعاً وتِسْعينَ من الأربعمائة أكثرَ مقبوليةٍ؛ ذلكَ لأنّ السنتينِ لا تَتَرَجَّحُ كَفّةُ أحدِهما على الأُخرى، وكذلك لأنّ ذلك القَولَ هُوَ مِمّا كانتْ الآراءُ عليهِ.

كِـتابُـهُ... عُنْوانُهُ، نِسْبَتُهُ إليهِ، الناقلونَ عَنْهُ

عَلَى الرَّغمِ مِنْ كثرةِ الأوصافِ التي أُسْبِغَتْ على النَّطْنَزيِّ، فكانَ مِنْ بينِ تلك الأوصافِ أنَّهُ صاحِبُ التصانيفِ الأدبيّةِ واللغويةِ، غيرَ أنّهُ لم يُعْرفْ لَهُ الكثيرُ مِنَ المؤلَّفاتِ، فَكُلُّ ما ذُكِرَ مِنْ ذلكَ قَصيدتانِ، وكِتابانِ، أمّا القصيدتانِ فقد وَردتا بالاسم (قصيدتانِ للنَّطنزيّ – حُسَينِ بنِ إبْراهيمَ بنِ أحْمَدَ النَّطْنَزيِّ (ت 499هـ)، وهذا العُنوانُ مَخطوطٌ مِنَ المَخطوطاتِ التي احْتَوَتْها (مكتبة الفاتيكان – إيطاليا)، برقم حِفْظ (2 / 526) [1]، وأمّا الكِتابانِ فأحَدُهما كانَ عنوانُهُ (كمال اللغة)، وهذا الكِتابُ مخطوطٌ، تُوجدُ نُسْخةٌ مِنهُ في (معهد البيرونيّ للدراساتِ الشرقية – طَشْقند – أوزبكستان)، تاريخُ نَسْخها في القَرْنِ السابعِ تَقديراً، وعَدَدُ صَفحاتِها (252)، وخَطُّها نَسْخٌ مَضْبوطٌ بالشَّكلِ، رَقْمُها (3389)، وتاريخ تصويرِها (1994/12/19)[2]، والكِتابُ الآخر هُوَ (كِتاب الخلاص أو دستور اللغة العربيّة) الذي يُسَمّى أحياناً بـ (دستور اللغة) تَخفيفاً، وهذا لازمَ ذِكْرَ الطَّنْزَيِّ وحَلَّ مَعَهُ أينما حَلَّ، فلا يكادُ يُذْكَرُ الرَّجُلُ إلّا وذُكِرَ كِتابُهُ مَعَهُ، ورُبَّما صارَ أحَدُهُما دليلاً على الآخَرِ، وهذا ما سيكونُ موضوعَ الآتي مِنَ السُّطُور.

ولَعَلَّ أوَّلَ ذِكْرٍ لكِتابِ (دستور اللغة) وصاحِبِهِ جاءَ في (عمدة القاري شرح صحيح البخاريّ) لأبي مُحَمَّدٍ مَحْمُودِ بنِ أحْمَدَ الغيتابيِّ الحَنَفيِّ المعروف ببدر الدين العَيْنيّ (ت 855 هـ)، إذ جاءَ في هذا الكتابِ "وقَالَ صَاحبُ (دستور اللُّغَة) بديعُ الزَّمَان"[3]، وقالَ صاحبُ (كشف الظّنون): "(دستور اللغة) وهُوَ مِنَ الكُتُبِ المُخْتَصَرةِ في هذا الفَنِّ، لبديعِ الزّمانِ حُسينِ بنِ إبراهيمَ النَّطْنَزيِّ"[4].

ولم يَخْتَلِف صاحِبُ (تاج العروس) في عَنْونةِ كتابِ النّطْنَزيِّ بالاسم نَفْسِهِ، فَهُوَ قَد نَقَلَ مِنَ الكِتابِ في موضعينِ مِنْ كِتابِهِ، وفي الموضعينِ كليهما يُصرّحُ بالكتابِ تحتَ مُسَمّى (دستور اللغة)، ويَعْزوهُ لصاحِبِهِ، وهُو الحُسينُ بنُ إبراهيمَ النَّطْنزيّ، فيقولُ في الموضعِ الأوّلِ: " قَالَ الحُسَين بنُ إبْرَاهِيم النّطْنَزِيّ فِي كِتابِه (دُسْتور اللُّغَةِ)..."[5]، وقالَ في الموضعِ الآخَرِ: "... كَذَا فِي (دُستور اللُّغة)، لأبي عبدِ الله الْحُسَيْن ابْن إبْرَاهِيم النَّطَنْزِيّ"[6].

ونَقَلَ صاحِبُ كِتاب (البُلغة إلى أصول اللغة) النّصَّ الذي ذَكَرَهُ صاحِبُ (كشف الظنون) بتفاصيلِهِ [7].

وتابَعَ خَيرُ الدّينِ الزّركليُّ (ت 1396هـ) في (الأعلام)، وعُمَرُ كَحّالة (ت 1408هـ) في (معجم المؤلِّفينَ)، ودارُ الكُتُبِ المِصريّة في (فِهْرِسِها)، وكار بروكلمان (ت 1956م) في (تاريخ الأدب العربيِّ)، وعصام محمد الشّنطيّ في (فهرس المخطوطات المصورة – معهد المخطوطات العربية) السابقينَ في ذِكْرِ كتابِ النَّطْنَزيِّ عُنواناً ونِسْبَةً[8]، ولا غرابةَ في ذلكَ، إذ أنَّ ما ذُكِرَ قَبْلَها هُوَ – بطبيعةِ الحالِ – مِنْ مصادرِ كِتابِهم، ورُبّما يُكْتَفى فِيها بالنّقلِ دونَ الرُّجوعِ إلى الأصولِ المُعْتَمَدةِ.

و لم يَبْتَعِدِ الشيخُ آغا بزرگ الطهرانيُّ (ت 1389 هـ) في بَعضٍ مِنْ مواضِعِ كتابِهِ (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) عَمّنْ سَبَقَهُ في تَسْمِيةِ الكتابِ بالاسمِ السابقِ ذِكْرُهُ [9]، غَيرَ أنّهُ – أي الشيخ الطّهْرانيّ – كانَ يَقْرِنُ هذا الاسمَ للكِتابِ باسمٍ آخرَ عُرِفَ بِهِ أيضاً، ذلك الاسم هُوَ (الخَلاص)، إذ قالَ " ذُو اللسانينِ بديعُ الزَّمانِ، أبو عبد الله حُسينُ بنُ إبراهيمَ النَّطْنزيِّ

(1) يُنظر: خزانة التراث – المكتبة الشاملة (مرقم آلياً): 115/ 239.
(2) يُنظر: المنتقى من مخطوطات معهد البيرونيّ: 103، فهرس مخطوطات مركز جمعة الماجد (اللغة): 189.
(3) عمدة القاري: 4/ 65.
(4) كشف الظنون: 1/ 754.
(5) تاج العروس: 26/ 19.
(6) نفسه: 28/ 407.
(7) يُنظر: البلغة: 175.
(8) يُنظر: الأعلام: 2/ 229، معجم المؤلفين: 3/ 193، 306، فهرس دار الكتب المصرية: 2/ 13، تاريخ الأدب العربيّ: 5/ 208، فهرس المخطوطات المصورة (اللغة): ج 1/ ق 2/ 79.
(9) يُنظر: الذريعة: 9/ 131، 20/ 311.

المُتوفَّى (497هـ)، صاحِبُ (دستور اللغة)، المسمى بـ (الخلاص)"[1]، وقالَ في موضِعٍ آخَرَ " (كتاب الخلاص) المشهور بـ(دستور اللغة) لأبي عَبْدِ اللهِ الحُسينِ بنِ إبراهيمَ العِراقيِّ مِنْ ناحيةِ نَطْنَزَ"[2]، ويُبَيِّنُ صاحبُ (الذريعة) أنّ سَبَبَ تلك التسميةِ هُوَ ما خَطّهُ يَراعُ النّطنزيِّ نَفْسِهِ في آخِرِ مُقدّمةِ كتابِهِ فَقالَ: "وسَمَّيْتُهُ بـ (كتاب الخلاص) لخلاصِهِ من كُلِّ لَفْظٍ مُعادٍ، وكلامٍ مُعتاصٍ، بما لا بُدَّ مِنْهُ للعامِّ والخاصِّ، ثُمّ للتّفاؤلِ بخلاصِ نَفْسي المسيئةِ يَومَ القَصاصِ، كما قالَ القائلُ [المتقارب]:

كِتابُ الخَلاصِ كِتَابُ بِهِ خَلاصُ النّطْنَزيِّ يَومَ الحِسَابْ

إلى آخِرِ الأبياتِ الخَمْسة في تَقريظ الكتابِ"[3]، فالتسميةِ التي ذُكِرَتْ ليستْ مِنْ وَضْعِ صاحِبِ (الذريعة)، وإنّما مِنْ وضْعِ المؤلِفِ نَفْسِهِ، وقَد وافَقَ بَعْضُ مَنْ ذَكروا الأصولِ الخَطّيّةَ للكِتابِ الشَّيخَ الطّهْرانيَّ في تَسْميةِ الكِتابِ بهذه التسميّةِ وزادَ عيلهِ فَسَمّاهُ (كتاب الخلاص في اللغات)[4].

أمّا العنوانُ الآخرُ الذي ذَكَرَهُ الشّيَخُ الطّهرانيُّ في (الذريعة) فَهُوَ (دستور اللغة العربية)، إذ اعْتَمَدَ في ذلكَ على نَصٍّ اقْتَبَسَهُ مِنْ النَّطْنَزيِّ نَفْسِهِ، وذلكَ النّصُّ مِنْ مقدّمةِ الكتابِ أيضاً، قالَ الشيخُ الطّهرانيّ "(دستور اللغة العربية) للأديبِ الماهرِ ذو [كذا] البيانينِ والشّاعرِ في اللسانينِ العربيِّ والفارسيِّ، بديعِ الزمانِ أبي عَبْدِ اللهِ الحُسينِ بنِ إبراهيمَ النَّطْنَزيِّ"[5]، أمّا نَصُّ النَّطْنَزيِّ الذي وَرَدَ في مقدّمةِ كتابِهِ فَهُوَ قَولُهُ: "الحمدُ للهِ الذي أبْدَعَ العالم بقدرتِهِ، وخَصَّ بني آدمَ بكرامتِهِ، والصلاةُ على خِيرتِهِ، مُحَمّدٍ مِنْ بَريّتِهِ، وعلى آلِهِ وذريتِهِ، وبَعْدُ، فهذا دُسْتورُ اللغةِ العربيةِ..."[6]، فَهَذا العُنوانُ – كسابقِهِ – لا يَدَ للناقِلِ فيهِ، وإنّما هُوَ مِمّا خَطَّتْهُ يَدُ المؤلِّفِ، وقَد تَكونُ تَسْميةُ الشّيخِ الطَّهْرانيِّ للكِتاب باسمِ (دستور اللغة العربية) بِناءً على رُجوعِهِ إلى إحْدى أُصولِ الكِتابِ الخَطّيّةِ؛ ذلكَ لأنَّ بَعْضَ نُسَخِ الكِتابِ قَدْ حَمَلَتْ هذا العُنوانِ[7]، وسيأتي الحَديثُ على هذه النُّسَخِ، وهُما – أي العنوانانِ – أكْثَرُ مقبوليةً مِنْ غيرِهما لا لشيءٍ إلّا لكونِهما قَدِ انْتُزِعا مِنَ الكتابِ نَفْسِهِ، وأنّ أحَدَهُما – زيادةً على ذلكَ – قَد حَمَلَتْهُ عُنْواناً بَعْضُ نُسَخِ الكِتابِ.

أمّا ما يَخَصُّ النّقلَ عَنْ كِتابِ النَّطْنزيِّ فإنّهُ مِنَ القِلّةِ بمكانٍ، ذلكَ على الرّغمِ مِنْ سِعَةِ الكِتابِ وكَثْرةِ موادِّهِ اللغويّةِ ومكانةِ صاحبِهِ مِنْ نُفُوسِ الآخرينَ، وهذا إنْ دَلَّ على شيءٍ فإنّهُ يَدُلُّ على عَدَمِ إيلاءِ الكِتابِ المكانةَ اللازمة وإعطائهِ ما يَسْتَحِقُّ مِنَ الاهتمامِ.

و إذا كانَ بدرُ الدينِ العينيّ أوّلَ مَنْ أوْردَ (دستور اللغة) مَنْسوباً للنَّطْنزيِّ، فإنّهُ – أيضاً – مِنْ أوائلِ مَنْ جاءِ بِنصٍّ مِنْ ذلكَ الكتابِ، هذا إذا لم يكُنِ الأوّلَ مِنْهُم، فقد نَقَلَ العينيُّ عَنِ النَّطْنَزيِّ في ثلاثِ مُؤلَّفاتٍ مِنْ كُتُبِهِ، الأولُ كتابُ (شرح سنن أبي داود)، والثاني كتابُ (عُمدة القاري شرح صحيح البُخاريّ)، والثالثُ كِتاب (البناية شرح الهداية)، ففي الأوّلِ كانَ لـ (دستور اللغة) موضعانِ، وفي الثاني سِتةُ مواضِعَ لَهُ، وفي الثالِثِ سَبْعةُ مواضِعَ، فمّما جاءَ في (شرح سُنن أبي داود) "القِناعُ – بِكَسْرِ القافِ – كذا ذُكِرَ في (دستور اللغة) في بابِ القافِ المَكْسُورةِ –، وهُوَ الطَّبَقُ الذي يُؤْكَلُ عَلَيهِ"[8]، ومِمّا وَرَدَ في (عُمدة القاري) قَولُ العينيّ: " وَقَالَ صَاحب (دستور اللُّغَة) بديعُ الزَّمَان: بَاب الْأَسْمَاء الخالية مِنْ عَلَامَاتِ التَّأْنِيثِ، والأسماءِ الَّتِي اشْتَرَكَ فِيهَا التَّذْكِيرُ والتأنيثُ، وَهِي حُدُود مِائَتي اسْمٍ ونيفٍ، وعلامةُ الْمُشْتَرِكِ، يَجْمَعُها قَوْلُهُ نَظْماً:... إلخ"[9]، وكذا الحالُ في المواضِعِ الأُخرِ[1]، وقد لا يكتفي العينيُّ بِنَقْلِ العبارةِ العربيِّةِ مِنْ كِتابِ النَّطْنَزيِّ، وإنّما

(1) الذريعة: 9/ 131، ويُنظر: 8/ 166، 20/ 311.
(2) نفسه: 7/ 208.
(3) الذريعة: 8/ 166، ويُنظر: دستور اللغة (المقدمة).
(4) التراث العربيّ المخطوط: 5/ 423 – 424، فهرس المخطوطات المصورة (اللغة): ج 1/ ق 2/ 79.
(5) الذريعة: 8/ 165.
(6) نفسه، ويُنظر: دستور اللغة (المقدمة).
(7) يُنظر: مختارات مكتبات تركيا: 872، التراث العربيّ المخطوط: 5/ 423.
(8) شرح سُنن أبي داود: 1/ 334، ويُنظر: 6/ 301.
(9) عمدة القاري: 4/ 65.

يَعْمَدُ إلى نَقْلِ العبارةِ الفارسيةِ أيضاً، ومِنْ ذلك مثلاً قَولُهُ " وفِي (دستور اللُّغَة) – في بابِ الحاءِ المَضْمُومةِ – الْحبّ خم ودستى"[2]، و(خم) و(دستى) لفظتانِ فارسيتان، تعنيانِ الجرّة أو الدّنّ والمحبّة، وسيأتيانِ، ولا يَخْتَلِفُ نقلُ العينيِّ عَنِ (الدستور) في كتابِهِ الثالِثِ، ومِنْهُ على سبيلِ التمثيلِ " وفي (دستور اللغة) القَرْظُ اسْمٌ لشَجَرٍ كالجَوْزِ عظيماً إذا قَدُمَ اسْوَدَّ ويُدبَغُ بثمرِهِ ووَرَقِهِ"[3] والحالُ نَفْسُهُ في موارِدِ الكِتابِ الأُخَرِ[4]. ومِنْ ذلكَ يَتَبَيَّنُ أنّ بدرَ الدينِ العينيّ لم يَكُنْ مِنَ السّبّاقينَ في النَّقْلِ عِن الحُسينِ النَّطنزيِّ فَحَسْب، وإنّما كانَ مِنَ المُكثرينَ في الأخذ عَنْهُ، هذا إذا ما قِيسَ بغيرِهِ مِنَ النَّقَلةِ والآخذينَ مِنَ الكِتابِ.

أمّا الكِتابُ الآخَرُ الذي تَضَمَّنَ تَنويهاً لكِتابِ النَّطْنَزيّ الأصبهانيّ أو ذِكْراً لِعبارةٍ مِنْ عباراتِهِ فَهُوَ (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) لأبي الحَسَنِ نورِ الدِّينِ عليِّ الملا الهَرَويِّ المعروف بالملا عليّ القاريِّ (ت 1014هـ)، فقد جاءَ في هذا الكتابِ " ثَعَبَ الْمَاءَ وَالدَّمَ – أَيْ كَمَنَعَ – فَجَّرَهُ فَانْثَعَبَ، لَكِنَّ الْمَفْهُومَ مِنَ التَّاجِ أَنَّهُ لَازِمٌ وَمُتَعَدٍّ، كَذَا فِي (دُسْتُورِ اللُّغَةِ) ثَعَبَ الدَّمُ أَيْ سَالَ وَأَسَالَ"[5]، ولم يَرِدِ (الدستورِ) منقولاً عَنْهُ في غيرِ هذا الموضعِ مِنَ الكِتابِ.

وإذا كانتِ الكُتُبُ السابقةُ هي مِمّا يَتَطَرّقُ للُّغَةِ بشكلٍ عرَضيٍّ؛ ذلك لأنّ موضوعاتِها انحَصَرَتْ بَيْنَ شرحِ الحديثِ (الكُتُب الثلاثة الأُول)، والفقهِ (الكتاب الرابع)، فإنّ هناكَ كُتُباً نَقَلَتْ عَنْ (دستور اللغة) وهي مِمّا كانتِ اللغةُ محورَها ومدارَ عَمَلِها، ولم يَتَيَسّرْ – لي – مِنْ تلكَ الكُتُبِ إلّا كِتابانِ، أحَدهُما (تاج العروس) لأبي الفيض مُحَمّدِ بنِ مُحَمّدِ الحُسينيِّ الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت 1205هـ)، والآخَرُ هُوَ كتابُ (منظومة المؤنثات السماعية) لعبد الله بن محمد بن إسماعيل الشافعي الكردي البيتوشيّ (ت 122هـ)، أمّا الكتابُ الأوّل فَقد كانَ للدُّستورِ موضِعانِ مِنْهُ، هُما قولُ الزَّبيديِّ: " قَالَ الحُسَين بنُ إبْرَاهِيم النّطْنَزِيّ فِي كِتابِه (دُسْتور اللُّغَةِ): فُعلول فِي لِسان العَرَب مَضْمومٌ، إلّا حَرْفاً واحِدًا، وهُوَ صَعْفوقٌ لمَوْضِعٍ باليَمامةِ"[6]، وقَولُهُ في موضِعٍ آخَرَ: "... فأمّا فِي المُضاعَفِ ففَعْلالٌ فِيهِ كثيرٌ، كزَلْزالٍ وصَلْصالٍ وقَلْقالٍ، إذا فَتَحْتَهُ فاسمٌ، وَإذا كَسَرْتَهُ فمَصْدَرٌ، كَذَا فِي (دُستور اللُّغة) لأبي عبدِ الله الْحُسَيْنِ بن إبْرَاهِيمَ النَّطَنْزِيّ"[7]، وأمّا البيتوشيّ في (مظومته) فَقد أشارَ إلى (الدستور) اسماً ونَقَلَ عَنْهُ أرجوزةَ الأسماءِ التي اشْتَرَكَ فيها التذكيرُ والتأنيثُ، فقالَ (الرجز):

الحَمْدُ لله، وصَلّى اللهُ عَلَى نَبِيّهِ الذي اجْتباهُ

وبَعْدُ مَهما رُمْتَ يا عَلامَه أسْماءَ تَأنيثٍ بِلَا عَلَامه

وكُلُّها أو جُلُّها ما أتْلُو عَلَيكَ نَظْماً صَحَّ فِيهِ النَّقْلُ

أغْلَبُها تُوجَدُ في (دُسْتورِ) ذَاكَ الكِتابُ العَلَمُ المَشْهُورِ

كَفٌّ، شَمَالٌ، أُذُنٌ، سِنٌّ، يَدُ رِجْلٌ، مِعَىً، عَيْنٌ، يَمِينٌ، عَضُدُ

... إلخ"[8].

(1) يُنظر: نفسه: 4/ 246، 18/ 26، 19/ 233، 24/ 259.
(2) نفسه: 13/ 28.
(3) البناية: 11/ 258.
(4) يُنظر: نفسه: 1/ 279، 589، 699، 4/ 180، 9/ 146، 408.
(5) مرقاة المفاتيح: 6/ 2463.
(6) تاج العروس: 26/ 19.
(7) نفسه: 28/ 407.
(8) منظومة المؤنثات (بحث): 108، ويُنْظر: البتوشيّ: 126.

فهذا كُلُّ ما أُثِرَ مَنْقولاً عَنْ كِتابِ النَّطنزيّ، وهُوَ بمجموعِهِ لا يَنْهَضَ دليلاً على أنَّ هذا الكِتابَ قَد نالَ مِن الحظوةِ والاهتمامِ ما يَجْعَلُهُ واسِعَ الانتشارِ مَقبولاً مُتداولاً بينَ ذوي الشأنِ، بَلْه مَصْدراً تَمَّ الاعتمادُ عليهِ والنَّقْلُ مِنْهُ، ورُبّما كانَ لطبيعةِ المادةِ اللغويّةِ (المُخْتَصَرة) التي عَرَضَها النّطْنزيُّ في كِتابِهِ الأثَرُ في ذلكَ، أو قَد تَكونُ الألفاظُ الفارسيّةُ (الكثيرةُ) التي احتواها (الدُّستور) هِيَ المُبرِّرَ للعُزوفِ عَنِ الكِتابِ والزُّهْدَ فِيه، أو قد يكونُ البُعدُ (الجغرافيّ) وراءَ اقْتصارِ الأخذِ مِنْ (دُستور اللغة) على أفرادٍ يُعَدّونَ بأصابِعِ اليَدِ الواحدةِ.

المصادر والمراجع

1. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء): شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ابن عبد الله الروميّ الحمويّ (ت 626 هـ) تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م.
2. الأعلام: خير الدين الزركلي (ت 1396هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط 15، 2002م.
3. إكمال الإكمال – تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا: أبو بكر معين الدين محمد بن عبد الغني (ابن نقطة الحنبلي البغدادي) (ت 629 هـ)، تحقيق: د. عبد القيوم عبد ريب النبي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1410هـ.
4. إنباه الرواة على أنباه النحاة: أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف القفطيّ (ت 646 هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1982م.
5. الأنساب: أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعانيّ المروزيّ (ت 562 هـ)، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، 1988م.
6. أنوار الربيع في أنواع البديع: عليّ صدر الدين بن معصوم المدنيّ الحسينيّ (ت 1120 هـ)، حقّقهُ وترجم لشعرائه: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، 1968م – 1969م.
7. بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ (ت 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان – صيدا.
8. البلغة إلى أصول اللغة (رسالة ماجستير): أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن القِنَّوجي (ت 1307هـ)، تحقيق: سهاد حمدان أحمد السامرائي، إشراف: أ.د. أحمد خطاب العمر، جامعة تكريت، 2004م.
9. البيتوشيّ: محمد الخال، مطبعة المعارف، بغداد، 1377 هـ = 1958م.
10. تاج العروس من جواهر القاموس: أبو الفيض محمد مرتضى الزَّبيديّ الحسينيّ (ت 1205 هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د. ت.
11. تاريخ الأدب العربيّ (ج 5): كارل بروكلمان، نقله إلى العربية: د. رمضان عبد التواب، راجع الترجمة: د. السيد يعقوب بكر، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1977.
12. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن قَايْماز الذهبي (ت 748 هـ)، تحقيق: د. بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، 2003م.
13. تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ابن عساكر)، (ت 571 هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م.
14. التدوين في أخبار قزوين: أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعيّ القزوينيّ (ت 623 هـ)، ضَبَطَ نصّهُ وحَقّقَ مَتْنَهُ: عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، 1987م.
15. تزيين الأسواق في أخبار العشّاق: داود الأنطاكيّ (ت 1008 هـ)، دار ومكتبة الهلال، ط 3، 1994م.
16. التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد: أبو بكر معين الدين محمد بن عبد الغني (ابن نقطة الحنبلي) (ت 629 هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، 1988م.

17. توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكُناهم: شمس الدين محمد بن عبد الله القيسي الدمشقي الشافعي (ابن ناصر الدين) (ت 842 هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسيّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م.
18. خريدة القصر وجريدة العصر – في ذكر فضلاء أهل أصفهان: عماد الدين الأصفهانيّ (ت 597هـ)، تقديم وتحقيق: عدنان محمد آل طعمة، دفتر نشر ميراث مكتوب، طهران، 1999م.
19. خزانة التراث – فهرس مخطوطات: قام بإصداره مركز الملك فيصل، المكتبة الشاملة (مرقم آلياً).
20. ديوان ديك الجنّ: حَقّقَهُ وأعَدَّ تكملتَهُ: د. أحمد مطلوب وعبد الله الجبوريّ، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
21. ديوان الشافعيّ – الإمام الفقيه أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ (ت 204 هـ): جمع وتحقيق ودراسة: مجاهد مصطفى بهجت، دار القلم، دمشق، 1999م.
22. ديوان الصبابة: شهاب الدين أحمد بن حجلة المغربيّ (ابن أبي حجلة) (ت 776 هـ)، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، 1984م.
23. ديوان عليّ بن محمد العلوي الحمانيّ (ت 301هـ) (بحث): صنعة: محمد حسين الأعرجي، مجلة المورد، بغداد، مج 3، ع 2، 1974م.
24. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: آقا بزرگ الطهرانيّ (ت 1389 هـ)، دار الأضواء، بيروت، ط 3، 1403 هـ = 1983م.
25. سير أعلام النبلاء: أبو عبد الله شمس الدين الذهبيّ (ت 748 هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1985م.
26. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد (ابن العماد الحنبلي) (ت 1089 هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خَرّجَ أحاديثَهُ: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، 1986م.
27. شرف المصطفى: أبو سعد عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوريّ (ت 407هـ)، دار البشائر الإسلامية، مكة، 1424هـ.
28. طبقات الحفّاظ: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، 1403هـ.
29. عمدة القاري – شرح صحيح البخاريّ: بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العينيّ (ت 855هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
30. الغدير في الكتاب والسنة والأدب: عبد الحسين أحمد الأمينيّ النجفيّ (ت 1392هـ)، عُني بنشره الحاج حسن إيراني، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط 4، 1977م.
31. غربال الزمان في وفيات الأعيان: يحيى بن أبي بكر بن محمد العامريّ الحَرَضيّ اليمانيّ (ت 893هـ)، صَحّحَهُ وعَلَّقَ عليهِ: ناجي زعبي العمر، إشراف: عبد الرحمن بن يحيى الإريانيّ، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1985م.
32. فهرس المخطوطات المصورة في مكتبة الإمام الحكيم العامة النجف الأشرف – العراق (ج 2): محمد مهدي نجف، منشورات مكتبة الإمام الحكيم العامة، 1395 = 1975م.
33. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطينيّ (حاجي خليفة) أو (الحاج خليفة) (ت 1067هـ)، مكتبة المثنى، بغداد، 1941م.
34. لبّ اللباب في تحرير الأنساب: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ (ت 911هـ)، دار صادر، بيروت، د.ت.
35. اللباب في تهذيب الأنساب: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الجزريّ (ابن الأثير) (ت 630هـ)، دار صادر، بيروت.

36. المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية (b) من صحيح الإمام البخاري: شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيريّ الشافعيّ (ت 956هـ)، حَقَّقَهُ وخرّجَ أحاديثهُ: أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.
37. مختارات من المخطوطات العربية النادرة في مكتبات تركيا: استنبول، 1997م.
38. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: صفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ابن شمائل القطيعي) (ت 739هـ)، دار الجيل، بيروت، 1412هـ.
39. مرقاة المفاتيح – شرح مشكاة المصابيح: أبو الحسن نور الدين علي بن (سلطان) محمد الهرويّ القاري (ت 1014 هـ)،: دار الفكر، بيروت، 2002م.
40. مستدركات أعيان الشيعة: حسن الأمين (ت 1368هـ)، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط 2، 1997م.
41. معجم المؤلفين – تراجم مصنفي الكتب العربية: عمر رضا كحّالة (ت 1408هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
42. معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الروميّ الحمويّ (ت 626هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ت.
43. المنتخب من معجم شيوخ السمعانيّ: أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعانيّ (ت 562هـ)، دراسة وتحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار عالم الكتب، الرياض، 1996م.
44. المنتقى من مخطوطات معهد البيرونيّ للدراسات الشرقية بطشقند: د. عبد الرحمن فرفور ود. محمد مطيع الحافظ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، 1995م.
45. منظومة المؤنثات السماعية (لعبد الله البتوشيّ) – تحقيق ودراسة – (بحث): د. طه صالح أمين آغا، زانكوى سليمانى، ژماره (21)، ئه يلولى 2007م.
46. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الحنفيّ (ت874 هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ، دار الكتب، مصر، د.ت.
47. نزهة الألباب في الألقاب: أبو الفضل أحمد بن علي العسقلانيّ (ت 852 هـ)، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديريّ، مكتبة الرشد، الرياض، 1989م.
48. نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن القِنَّوجي (ت 1307هـ)، عُني بنشره: محمد عطيه الكتبيّ، المطبعة الرحمانية، مصر، 1920م.
49. نُصرة الثائر على المثل السائر: خليل الدين بن ايبك الصفديّ (ت 764هـ)، تحقيق: محمد علي سلطاني، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1972م.
50. نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار: حامد حسين اللكهنويّ، مطبعة مهر، 1414هـ.
51. هدية العارفين – أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل بن محمد أمين البغدادي (ت 1399هـ)، وكالة المعارف، استانبول،1951.
52. الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفديّ (ت 764 هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م.